



# مسامرات

## السعادة.. بين الشعارين صقر الشبيب والهادي آدم

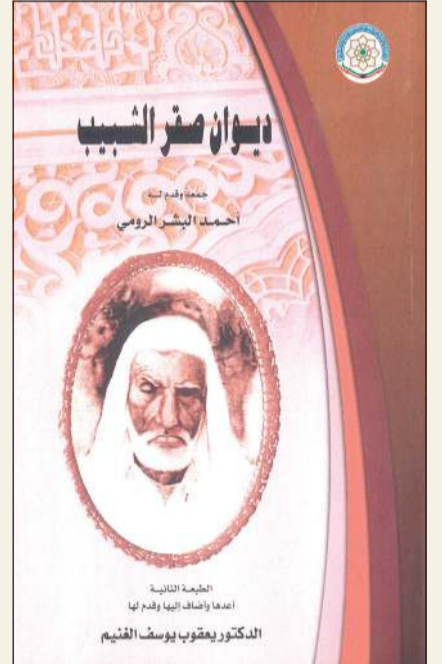
- صقر أنكرو وجود السعادة في الحياة واعتبرها اسماً مشهوراً لمسمى غير موجود وأكد في قصيدته أنه لم ير في الدنيا غير الشقاء المتمكن المعاند لبني الأرض كلهم
- صقر بدا غير واثق في أن واحداً من الناس قادر على التمتع بالسعادة وينفي ذلك معلقاً عن الخلق جميعاً في قصيدة عنوانها «أمع الحياة سعادة؟»



بفلم:  
د. يعقوب يوسف الغنيم



كوكب الشرق أم كلثوم في حديث باسم مع الشاعر السوداني الهادي آدم صاحب قصيدة «أعدا القاك»



غلاف «ديوان صقر الشبيب»

يتساءل بعد كل ذلك:  
- ثم ماذا؟  
وهنا يرد قائلاً بأن هؤلاء الذين ذكروهم،  
لم ينفعهم ما ملكوه من أموال، وما تمتعوا  
به من عروض الدنيا، بل إنهم:

عجزوا أن يسعدوا بين الأنام  
مثلما يسعد صفور صغير  
أخذوا لهم نسي جنح الظلام  
مثلما يخلد خفاش ضرب  
وجدوا كل المني غير السعادة

ويمضي في هذا السبيل مؤكداً أن السعادة  
مطلب يسير لولا الملمات التي تحيط بنا، وهذا  
المطلب لا يعدو كلمة:

فما هي السعادة في رأيك؟ إنه يتساءل:  
أهي السر الذي يدفعنا نحو العمل؟  
ثم لا شيء سوى هذا العمل.  
أم هي الحظ الذي يبسم إن شاء، وإن  
شاء خذل؟

وأخيراً فإنه يقول لسامعه:  
أتريد السعادة؟ أترأها لازمة لك في حياتك  
حتى يهدأ بالك، وتستقر أمورك؟ إذن فاستمع  
إلي:

انتظروا عندما تشفى لخير الآخرين  
عندما تلتقط الدفعة من جفن الحزين  
إنها سر الإخاء  
والإخاء المحض مفتاح السلام  
وقوام الحب في ضي الدنيا  
وشعاع يملأ الكون سنا  
سر إسعادي وإسعادك  
باتي من هنا

هكذا أوصلنا الهادي آدم إلى تعريفه  
للسعادة، لقد بدأ بدايات توضيحية ولكنها  
مما لا بد من ذكره، حتى يصل إلى هذا الختام  
الجميل بعد أن طوّف بنا في معالم الحياة  
المختلفة، وبين لنا أن الحصول على السعادة  
ليس صعباً، وأن أمر امتلاكها ليس محالاً بشرط  
أن يتحلى الإنسان بالصفات الطبية التي ذكرها  
في آخر المطاف، وهي إسعاد الآخرين ودفع  
الحزن عن المحزونين، والإخاء المحض يشيعه  
بين الناس وهو معهم. هذه هي أسرار السعادة  
كما توصل إليها إثر تجربته في الحياة.

□ □ □

هذه هي السعادة كما رأها كل من الشعارين  
اللذين تحدثنا في هذا المقال عنهما، وعن موقف  
كل واحد منهما من السعادة وقد رأينا فرقا  
كبيراً بين موقفيهما، لأننا نجد في قصيدة  
صقر إيماناً في التشائم بل إنه من أول بيت  
فيها يعلن أنه لا من سبيل في الأرض يؤدي  
إلى السعادة، ثم يرى أن الإنسان يقترف  
بيديه ما يؤدي إلى تعاسته، وهذا الموقف  
واضح في شعر شاعرنا صقر الشبيب، نراه  
في كثير من القصائد، وليس بالضرورة أن  
ذلك يتعلق بأمر السعادة.

أما الهادي آدم فقد كان أكثر تسامحاً، وهو  
وإن انحس باللائمة على أولئك الطغاة الذين  
لا تهمهم راحة الناس، ولا يراؤون بفقير أو  
يرفدون محتاجاً إلا أنه وضع أمام مستمعيه  
طريق السعادة، فأوضح أنها تكون بإشاعة  
الرفق بالاحتجاج والعطف على الصغير ومسح  
دمعة الحزين، والاختلاط مع الناس بروح  
السماحة والرغبة في العيش بهدوء بال وراحة  
نفس.

وكل هذا ما وجدنا عند هذين الشعارين.

□ الهادي يؤكد أن السعادة مطلب يسير لولا الملمات المحيطة بنا والحصول  
عليها ليس صعباً وامتلاكها يكون بتحلي الإنسان بالصفات الطبية

□ الهادي حدّد مقومات الحصول على السعادة بإسعاد الآخرين ودفع الحزن  
عن المحزونين وإقامة الإخاء المحض بين الناس والعطف على الصغير

والإسعاد، حين يُعبر عن أمه الذي أراد أن يبثه  
في نفس المحبوب، فقال:

وغداً نالتق الجنّة أنهاراً وظلاً  
وغداً نسومو فلا ناسي على ماض نولي  
وغداً نزهو فلا نعرفنا للقب محلاً  
وغداً للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا  
قد يكون السبب خلساً  
إنما الحاضر أخلص

إذن فنحن أمام شاعر قوي الشعر رائع  
التصوير، متمكن من أدواته، له عبارة آسرة،  
وخيال خصب فاتن، فماداً عن موضوع السعادة  
الذي أشرنا إليه، وبيننا أنه سارع إلى الحديث  
عنه مع شاعرنا صقر الشبيب على غير اتصال  
بينهما؟

□ □ □

دخل الشاعر السوداني إلى موضوعه من  
مدخل مختلف عن المدخل المباشر الذي وجدناه  
في شعر صقر الشبيب، فإن للهادي آدم قصيدة  
عنوانها: «إنها غير بعيد»، وردت في ديوانه:  
«نوافذ العدم» المنشور في سنة 1969م.

وهو يطرح في مطلعها بعض التساؤلات،  
ثم يعلق عليها، فنرى في حديثه:  
إن كانت دنياكم هذه دنيا سلام وسرور  
دائم، وابتسام لا ينقطع، فلماذا يزيح الظلام  
النور؟ ولماذا تلد النار الرماذ؟ ما الذي يجعل  
الطفل الصغير يختار النواح، وهو بعد لم  
يعرف للسلام معنى؟

ثم يتساءل - مرة أخرى - عن كل ذلك  
بقوله:  
- خبروني إن تكونوا تعلمون،  
وبعد ذلك يقوم بضرب الأمثلة، فيذكر سادة  
العالم الماضين الذين كانوا يمتلكون الكنوز،  
ويستطيعون أن يحققوا كل ما في أنفسهم من  
رغبات، ولكنهم لم يصلوا إلى قمة السعادة  
المرتجة التي تعبر عنها البسمة حين ترتسم  
على شفاه السعداء، وعنها يقول:

إن نك البسمة شيئاً يشترى  
لا شترها بالآلي الأثرياء  
مثل فارون وفرعون الكيبر  
من شسروا بالمال ما لا يشترى  
قد شسروا كل كيبر وصغير  
وشسروا حتى الضمير  
دمك مما لد في الأرض وطاب  
من طعام وشراب

وتزاحمت في ذهنه الأفكار والتساؤلات حتى  
وصف حاله، وهو يتأمل ما مر به ويقول:

ثم ولت، ثم عادت، ثم ولت وأنا  
مطرق أسال في صمت مريب  
مثلما يسال مرضاه الطبيب  
وتلقت الجواب:  
هو: بسر الله في الكون العجيب

ثم يمضي في هذا النظام الذي يسبطر  
عليه شيء من التشاؤم، ومن أجل ذلك فإنه

والوطن العربي كله، ودلالة انتشار شعره أننا  
نراه متنوعاً يتحدث فيه عن بلاده وعن غيرها  
من بلاد العرب، فهو يرثي جمال عبدالناصر  
في قصيدة نشرت في القاهرة سنة 1973م،  
ويقول قصيدة جميلة في لبنان. وأخرى في  
دمشق، ويذكر الغواصة الإسرائيلية التي  
أغرقتها مصر في سنة 1965م عند دخولها إلى  
المياه الإقليمية المصرية، ويتحدث عن حال  
العروبة بعد نكسة حزيران 1967م، ولا ينسى  
الأردن إلى جانب كثير من القصائد المماثلة.  
ولد هذا الشاعر في سنة 1927م، وتوفي في  
سنة 2006م، وكان قد تخصص في علوم اللغة  
العربية والدراسات الأدبية، حيث تلقى علومه  
الجامعية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة،  
ولذا فإن بيئته وبيئته صلة نسب علمية، فكلنا  
درس في هذه الكلية العريقة، وقد حصل فيما  
بعد على درجة الدكتوراة الفخرية من إحدى  
الجامعات السودانية، واشتغل بالتعليم طوال  
حياته، إلى جانب نشاطه الأدبي الموهود.

وللهادي آدم شعر عرفه الناس على نطاق  
واسع في خارج بلاده عندما غنت له كوكب  
الشرق أم كلثوم أغنية نالت إعجاب الجميع،  
ولا تزال تتردد عبر أجهزة الإعلام المختلفة،  
وعلى السنة المعجيين.

وكان لسبب قول الشاعر لها، وتقديمه إيها  
إلى أم كلثوم حكاية كتب عنها كثيراً، وليس  
هذا مكان ذكرها، فهي - دائماً - بين يدي من  
يبحث عنها في مضان أخرى.

هذه الأغنية هي التي جعل مطلعها قوله:  
أعدا القاك يا خوف فؤادي من غد  
بالنوفي واحتراني في انتظار الوعد  
أه كم أخشي غدي هذا واروجه اقترابا  
كنت استدنيه لكن ميهته لما اهابا  
واهلت فرحة القرب به حين استجابا  
هكذا أخلص العمر نعيماً وعذابا  
مهجة حزني وقلياً منسه الشوق فذابا

وقد لحن هذه القصيدة (الأغنية) عيقرى  
الألحان الفنان البارز محمد عبد الوهاب، الذي  
يبدو من أدائه فيها أنه قد اهتز كثيراً لصياغتها  
ومضامينها، وتميزها بموسيقى الشعر، فأبدع  
في تلحينها، واجتمع القول والنغم والصوت  
البديع فقدمت أم كلثوم عملاً رائعاً كعادتها  
فيما تقدمه من روائع.

وقد أثار انتباهي فقرة باهرة من فقرات  
هذه الأغنية أجاد فيها الهادي آدم كل الإحادة،  
فقد انطلقت من قريحة متفتحة على الشعر  
الراقي، فعبر فيها عن شعوره المتدفق تجاه  
المحبيب، فجاء بما يتوقف أمامه المستمع  
إعجاباً وتقديراً، يقول:

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفخر  
هذه الدنيا ليال أنت فيها الفخر  
هذه الدنيا عين أنت فيها البصر  
هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر  
فارسم القلب الذي يصوب إليك  
فعدا نملكه بين يديك  
ولكنه يختم بداياته بما هو أملك للقلوب

عن مستوى شعره، وعن الحكمة التي امتاز  
بها، وعن التشاؤم الذي عرف به وساد الأبيات  
الأخيرة من قصيدته هذه الخاصة بالسعادة،  
حتى لقد أنكرو وجود هذه الطبيعة الإنسانية  
التي يشعر بها كثير من الناس. ولكنه اعتبرها  
اسماً مشهوراً لمسمى غير موجود.  
ثم يؤكد أنه لم ير - في الدنيا - غير  
الشقاء المتمكن المعاند لبني الأرض كلهم، ومع  
ذلك فإنه يعجب من أننا - كما قال - وقد  
علمنا بالشقاء، وعانينا من وطائه علينا، لا  
نزال نتمنى الزيادة من البئز وكأنا نريد أن  
نكسبهم شيئاً من الشقاء الذي نحافه. يقول:

ليس فسي الأرض من طريقتي يؤدي  
سالكه أو بعضهم للسعادة  
فلها اسم بين الأنام شويهد  
وفسامة تستحيل الشهادة

ثم يذكر ما يستغربه من الناس في حبه  
للمزيد من النسل، وما يترتب عليه من عقبات  
فيقول:

وعلى العلم بالشقاء ترانا  
تتمنى من البنين الزيادة  
أعجب أولاده الوالد المسعد  
كين أم كان مبيخاً أولاده؟

وعلى الرغم من أن الشاعر يرى هذا الوالد  
المكثر من البنين مسكيناً في البيت السابق  
ذكروه، فإنه يعجب عليه ذلك الاهتمام بزيادة  
النسل، وهذه الرغبة الملحة في الزيادة عند  
بعض الآباء مستتكرة عند صقر الشبيب  
ويعتبر أنها ليست دليلاً على محبة الأولاد:

إن يكن والد البنين مبيخاً  
فلماذا قد نك باب السعادة

ولكنه يقول:  
وأزانا فند السعادة حسي الد  
موت في لا إرادة أندا  
لو ملكك التصرف الجسر لم أخ  
ضغ لطبيعي وقد علمت فسادة  
لا ولا بلت عن طريقتي جاني  
بعد علمي صلاحه ورشاده

ويبدو أن شاعرنا صقر الشبيب كان غير  
واثق في أن واحداً من الناس قادر على التمتع  
بالسعادة، بل هو ينفي ذلك في قصيدة له أخرى  
عنوانها: «أمع الحياة سعادة» ومطلعها:

ما كنت أظن مذ أريت سهوي الذي  
ما كان قط ولن يكون مدي الأبد  
أما الألي كانوا فليست بغايط  
منهم على شيء فيغوز به أحد

وهكذا أبعد السعادة عن الخلق جميعاً في  
رأي حاسم منه، وذلك كان طبع شاعرنا هذا.

□ □ □

أما الشاعر السوداني الهادي آدم، فهو كما  
أشرت في البداية من أبرز شعراء السودان بل

لي اهتمام شديد بقراءة الشعر قديمه  
وحديثه، والتفتيح في قصائده عن المعاني  
اللطيفة، والألفاظ الشائقة، ولقد مرت بي  
خلال قراءتي هذه دواوين شعرية كثيرة من  
مختلف العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية  
العربية، وأنست إلى قراءة أشعار الشعراء  
الذين عبروا تلك العصور دون أن اختار عصراً  
بعينه لأننا نجد الشاعر المجيد في كل عصر  
يتقدم على أقرانه حتى ولو كانت لهم مكانة  
شعرية مرموقة. ولقد اهتم علماء اللغة العربية  
ورواة الشعر العربي بجمع هذه الدواوين،  
وأنشأوا إليها بعض المجموعات الشعرية  
المتنوعة مثل: المفضليات للمفضل الضبي  
والأصمعيات لعبد الملك بن قريب الأصمعي،  
ومن غير هذين الرجلين وصلنا كثير من  
تراث الشعر العربي المعجب الذي لا يمل المرء  
قراءته والتأمل به.

وفي عصرنا الحديث أعداد كثيرة من شعراء  
العربية تراهم منتشرين في الوطن العربي  
من أقاصه إلى أقصاه، فنجد لهم شعراً عالي  
المكانة يمتلئ المرء إعجاباً به، ويحرص على  
قراءته وحفظه.

وما أريد أن أتطرق إليه في حديثي هذا  
يتعلق بشعارين معاصرين هما صقر الشبيب  
من الكويت، والهادي آدم من السودان، ولكل  
واحد منهما شعر غزير متنوع الأغراض.

وقد وجدت لكل واحد منهما قصيدة جميلة  
تتحدث عن سعادة الإنسان، وأهميتها، وكيف  
يجدها؟ وقد كان شاعر الكويت مصرحاً باسم  
السعادة، ذكراً لها بصورة مباشرة، ولكن  
شاعر السودان كان يتحدث عنها تلميحاً في  
قصيدة له لا تخلو من جمال في اللفظ والمعنى.  
وأنا هنا في سبيلي إلى بيان ما يمكن بيانه  
عن هذين الشعارين المجيدين، وقصيدة كل  
واحد منهما.

صقر الشبيب شاعر كويتي عريق، مرموق،  
ولد في سنة 1896م، وكف بصرد صغيراً،  
ولكنه بدأ دراسته غير عابئ بهذه العاهة التي  
تعطل غيره عن طلب العلم في زمنه، ذلك أنه  
اتجه إلى الدراسة عندما وصل إلى السن التي  
تؤهله لذلك، فحصل على علم غزير أفاده به  
علماً وثقافة، وألم - كثيراً - بكل ما يتعلق  
باللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، كما  
حفظ شعراً أهله للوصول إلى مرتبة عالية  
في نظم الشعر عندما شدا به، ثم انطلق في  
مجاله إلى آفاق واسعة.

له ديوان شعر مطبوع بعناية الأستاذ أحمد  
البشر الرومي، وقد نشرته بعد ذلك مؤسسة  
عبدالعزیز سعود الباطين للإبداع الشعري  
في طبعة فاخرة أضيفت إليها قصائد لم ترد  
في الطبعة الأولى.

تحمل هذا الشاعر في حياته معاناة كبيرة،  
وأحاطت به ظروف القاهرة، ومع ذلك فقد كان في  
بداياته مشاركاً في الحركة الثقافية الكويتية  
التي بدأت بشايرها آنذاك، وأنشد قصائده في  
مناسبات متعددة، وفي موضوعات كثيرة،  
وامتاز شعره بالجزالة، وقوة السبك، وروعة  
المعاني، وأكثر فيه من التطرق إلى الحكمة  
والنصح والتوجيه فكان يقدمها كلها للمجتمع  
الذي عاش فيه إلى أن قرر في السنوات الأخيرة  
من عمره، أن يترى في منزله بعيداً عن  
مخالطة الناس لأسباب رأها تحتم عليه ذلك.  
ونظراً لمقدرته على الإبداع الشعري، وتنوع  
أغراض شعره، فقد نال مكانة طيبة بين القراء  
والمستمعين لشعره في الكويت وخارجها.  
ولا يزال مذكوراً بعد وفاته في سنة 1963م.  
ونعود هنا إلى قصيدة صقر الشبيب التي  
قالها عن السعادة، وهي تعبر أصدق تعبير